كتب الأنساب مصدراً لتاريخ مكة
كتاب جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار نموذجاً

د. محمد نصر عبد الرحمن
مدرس بكلية الآداب جامعة عين شمس

مقدمـــــة:

تعد كتب الأنساب واحدة من أهم مصادر التاريخ الإسلامي بوجه عام، وتاريخ مكة بوجه خاص. ومن نافلة القول، أن الاهتمام بالأنساب يرجع إلي عصور الجاهلية، ثم تجددت العناية بالأنساب وروايتها وكتابتها خلال القرن الأول للهجرة، وتمثلت في مرحلتها الأولي بوجود نسابين في كل قبيلة، ووجود كتب لدي القبائل بأنسابها وأخبارها وأشعارها. وزاد من أهمية العناية بالأنساب الحاجات الإدارية كتنظيم العطاء، وإسكان القبائل في الأمصار، يضاف لذلك الخصومات القبلية، وأثر الأوضاع السياسية علي وضع القبائل، وظهور ارستقراطية جديدة في الإسلام.

وهناك عديد من كتب الأنساب التي وصلت إلينا، خاصة فيما يتعلق منها بمكة وتاريخها مثل: كتاب "نسب قريش"، لمصعب الزبيري(ت.٢٣٦هـ/٨٥٠م)، وكتاب " جمهرة نسب قريش وأخبارها "، للزبير بن بكار(ت.٢٥٦هـ/٨٦٩م)، وكتاب " أنساب الأشراف "، للبلاذري (ت.٢٧٩هـ/٨٩٢م)، وغيرها من كتب الأنساب. وتظهر أهمية كتب الأنساب في أنها تحتوي علي تأريخ لعدد كبير من الشخصيات التاريخية، مع نبذة موجزة عن حياة هذه الشخصيات، وأهم الأحداث التي مرت بها، أو حدثت في قبيلتهم أو منطقتهم. وهي بذلك تحمل كماً كبيراً من المادة التاريخية التي تتعلق بالتاريخ السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، لشبه الجزيرة العربية بوجه عام، ومكة بوجه خاص.

وتختص هذه الدراسة بأحد كتب الأنساب، وهو كتاب (جمهرة نسب قريش وأخبارها) للزبير بن بكار، نموذجاً لهذا المنظور، وهو واحد من أهم كتب الأنساب، وترجع أهميته إلي أنه تفرد ببعض التفصيلات، التي لم ترد في المصادر الأخري من كتب الأنساب والتراجم، بجانب ما أورده من وقائع وأحداث تاريخية، ميزت كتابه عن غيره من بقية كتب الأنساب. وسوف نحاول أن نطبق علي هذا الكتاب الرؤية السابقة، ونستخلص منه أهم الأحداث التي مرت بمكة علي كافة الأصعدة: سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وذلك حتي نهاية العصر العباسي الأول.

وسوف نبدأ بالحديث عن منهج الزبير بن بكار في كتابه، ثم نتناول التاريخ السياسي لمكة من خلال كتاب جمهرة نسب قريش، ثم نتبعه بالتاريخ الاقتصادي، ثم التاريخ الاجتماعي. ومنهجنا في هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث نحاول أن نستخلص ما ورد في الكتاب من معلومات تاريخية مختلفة، ونقارنها بما ورد في كتب الأنساب الأخري من ناحية، وفي المصادر التاريخية المختلفة من ناحية أخري، لنقف علي أهمية هذه المادة ومدي صدقها.

كان منهج ابن الزبير قائماً علي أمرين، الأول: تتبع نسب العلم الذي يترجم له، فيذكر أبنائه وأحفاده، حتي ينتهي إلي من تبقي منهم في عصره، أو حتي ينتهي عَقِب المترجم له. والثاني: ذكر ما يرتبط بالشخص المترجم له من أخبار وأشعار، وما تولاه من مناصب إدارية وغيرها.

وفيما يخص سلسلة النسب؛ كان يعرض عن ذكر مصادره فيها، ويكتفي بذكرها مباشرة، ربما اعتماداً علي طول باعه في هذا المجال، حيث اشتهر بأنه: "كان عالماً بالنسب"، و"عرف عنه علمه بأخبار القدماء وأنساب العرب". والأرجح أن مصدره في تأريخ هذه الأنساب هو المدائني (ت.٢٢٥هـ/٨٣٩م)، حيث كان الزبير ممن سمع عنه، ونحن نعلم أن للمدائني كتاب عن أنساب قريش بعنوان (نسب قريش وأخبارها)، وربما كان هذا الكتاب هو مصدره الأساسي الذي استقي

منه الأنساب التي ترجم لها. بجانب كتاب عمه مصعب بن عبد الله الزبيري (نسب قريش).

وعلي العكس من تجاهله لذكر مصادره في سلسلة النسب، نراه حريصاً علي ذكر مصادره، فيما يذكره من أخبار تتعلق بالأشخاص الذين يترجم لهم، حيث كان يسير علي طريقة المحدثين، من حيث اهتمامه بإيراد الإسناد للأحداث التي يصورها أو يرويها، وأغلبها مصادر شفهية عاصرت الأحداث التي يرويها مباشرة، أو نقلت له الأحداث عن أشخاص آخرين شهدوا هم تلك الأحداث، لذلك غالباً ما كان يفتتح روايته بكلمة " حدثني"، أو "أخبرني". وكان في بعض الأحيان يعتمد علي مصادر نسائية فيما يذكره من أخبار. كما كان–علي عادة عديد من المصادر التاريخية في تلك الفترة – كثير الاستشهاد بالشعر، حتي أن بعض المصادر الأدبية – مثل الأصفهاني(ت.٣٥٦هـ/٩٦٦م)، في كتابه "الأغاني"، وياقوت الحموي (ت.٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، في كتابه " معجم الأدباء – نقلت عنه الكثير من هذا الشعر. كما نقل عنه عديد من المؤرخين، لعل أبرزهم الخطيب البغدادي، في كتابه " تاريخ بغداد "، حيث نقل عنه الأخبار المتعلقة بأنساب قريش، وأخبار رجالاتها من الخلفاء وصحابتهم، والولاة والقضاة والعلماء، ونبذاً من أخلاقهم ومروءتهم، ومواضع دورهم، ووفياتهم، وبعض أخبارهم.

ورغم حرصه علي ذكر العديد من الروايات التاريخية، إلا أنه يوردها دون أن يبدي رأيه فيها، أو ينقدها، برغم أنها في بعض الأحيان، تتعارض مع الروايات التي أوردتها مصادر أخري، خاصة ببعض الأحداث.

التاريخ السياسي لمكة من خلال كتاب جمهرة نسب قريش:

يحفل كتاب الزبير بالعديد من الإشارات، لبعض الأحداث السياسية الخاصة بتاريخ مكة خلال عصورها المختلفة، منها أحداث عادية ذكرتها معظم المصادر

يكون أول ملك عليها، حيث طلب مساعدة الإمبراطور بعد أن أطمعه في مكة، وتعهد بدفع جزية سنوية له، وهو ما قبله الإمبراطور، وفي المقابل هدد قريش إن رفضت هذا التتويج، بقطع تجارتها الهامة مع بلاد الشام الخاضعة للنفوذ البيزنطي. وقد تركت هذه التهديدات تأثيرها في نفوس المكيين، فنزلوا علي رغبته ورضوا بأن يتوج ملكاً عليهم، وضربوا لذلك موعداً، غير أن أحدهم انتفض وذكّرهم بأن هذا لم يحدث في تاريخهم من قبل، فتراجعوا عن رأيهم مما أغضب عثمان الذي انطلق نحو الشام، ليبلغ الإمبراطور برفض قريش لتتويجه.

وقد تميزت رواية الزبير بن بكار عن غيره ممن ذكر هذه الرواية بالثراء، والتفاصيل الدقيقة التي تفرد بها، والتي لم تُذكر عند غيره من المصادر. وعلي الرغم من ذلك، ومع حرص الزبير علي ذكر التفاصيل وأسماء الشخصيات المشاركة في الأحداث بكل دقة، إلا أنه لم يذكر اسم الإمبراطور البيزنطي الوارد بها، واكتفي بذكر لقبه " قيصر"، وهو أمر معتاد من المصادر الإسلامية عامة، كما لم يحدد تاريخ وقوع هذه الحادثة. وإذا حاولنا التحديد الزمني لهذه الواقعة، يمكننا ذلك بتتبع بطلها نفسه، وهو عثمان بن الحويرث، فقد ذكر الزبير بعد ذلك أن بعض تجار قريش في الشام تآمروا عليه، واستعانوا بمن دس له السم فلقي حتفه. ونحن نعرف أن عثمان - وفق بعض الروايات - توفي قبل البعثة النبوية بثلاثين عاماً، ولما كان من المتفق عليه أن البعثة النبوية كانت عام ٦١٠م، فإن هذه الأحداث دارت وقائعها تقريبا في حدود عامي ٥٩٧-٥٨٠م، وهي الفترة التي كان يعتلي عرش الإمبراطورية البيزنطية فيها الإمبراطور البيزنطي تيبريوس الثاني Tiberius II Constantine (٥٧٤ -٥٨٢م).

وإذ توقفنا عند نص الزبير في محاولة لتحليله، نجد أنه جعل الطموح الشخصي هو المحرك الأساسي لعثمان بن الحويرث لكي يتجه لبيزنطة، يطلب دعمها لتنصيبه ملكاً علي مكة. ولكن من خلال رواية أخري مقتضبة لعمه مصعب

الزبيري، ربما نستشف دافعاً آخر لعثمان، حيث ذكر أن الأخير كان مسيحياً، بل حمل لقباً دينياً مسيحياً وهو (البطريق)، ويبدو أنه أراد نشر المسيحية بين المكيين لكنه لم ينجح في ذلك، فرأي أن تنصيبه ملكاً عليهم ربما يساعده في ذلك، وهو الأمر الذي وضح فيما عرضه علي تيبريوس، حيث أغراه بقدرته علي تحويل المكيين للمسيحية، مما يسهل علي البيزنطيين إخضاعهم لنفوذهم.

ونحن نعلم أن المسيحية دخلت الجزيرة العربية في فترات مبكرة، عن طريق الشام والعراق، وبواسطة المبشرين والتجار الذين انتشروا في أرجائها لنشر المسيحية. وقد انتشرت المسيحية بين بعض القبائل العربية، مثل: ربيعة، وغسان، وتميم، وغيرها. واعتنقتها بعض الشخصيات القرشية، مثل: عثمان بن الحويرث، وورقة بن نوفل، وغيرهما، ولكنها لم تكن بقوة المعتقدات الأخري.

ويذكر الزبير أن عثمان حاول أن يغري تيبريوس لمساعدته، ملوحاً له بأن خضوع مكة له ستكون رداً علي خضوع اليمن لسلطة الفرس، مما يخلق نوعاً من التوازن في المنطقة. وقد كانت هذه خطوة ذكية من عثمان، الذي رغب في استغلال الصراع العسكري الذي نشب بين الفرس والبيزنطيين حول الجزيرة العربية واليمن، في تحقيق أغراضه.

وكان الفرس قد بسطوا سيطرتهم علي اليمن، حين حاول اليمنيون التخلص من سيطرة الأحباش عليهم. وقد تزعم حركة المقاومة أحد قادة اليمن، ويدعي سيف بن ذي يزن الحميري، الذي أخذ عاتقه هذه المهمة، وكان يدرك أنه لن يتمكن من تحقيقها إلا بالاستعانة بإحدي القوتين: البيزنطيون أو الفرس، وأختار أن يبدأ بالبيزنطيين، فشد رحاله نحو القسطنطينية يعرض ولائه، في مقابل المساعدة العسكرية في التخلص من الأحباش في اليمن.

ومن نافلة القول، أنه كان اختياراً خاطئاً من جانب سيف بن ذي يزن فلم تكن روابط العقيدة والتحالف السياسي بين البيزنطيين والأحباش تجعلهم يتحالفون

ضدهم، أو يقدمون المساعدة لأعدائهم، لذلك كما كان متوقعاً جاء جواب البيزنطيين بالرفض. لذلك وجه وجهه شطر الطرف الآخر ونعني بهم الفرس، رغم أنه لم يبدأ بهم – بحسب المنطق– لأنهم سبق ورفضوا مساعدة أبيه حين طلبها منهم، ووجد ضالته عند الملك الفارسي كسري أنوشروان، الذي أرسل معه جيشاً بقيادة قائده وهرز Wahriz، تمكن من هزيمة بن أبرهة، وتنصيب سيف بن ذي يزن علي عرش مملكة حمير، مقابل أدائه الجزية للفرس.

وهكذا جاءت الفرصة إذاً للفرس ليضعوا قدماً لهم في جنوب الجزيرة العربية، وهو أمر تاقوا إليه طويلاً، حقيقة أن سيادتهم علي اليمن لم تكن كاملة، إلا أنهم كانوا يتحينون الفرصة للاستيلاء عليها. وواتهم الفرصة بعد ثورة بقايا الأحباش في اليمن ضد سيف بن ذي يزن ومقتله، إذ عاد وهرز بجيوش الفرس مرة أخري، وأستولي علي اليمن لمصلحة مليكه كسري. وساعد الفرس علي مد نفوذهم في شبه الجزيرة العربية، الضعف الي أصاب بيزنطة، خاصة مع وفاة الامبراطور البيزنطي جستينان عام ٥٦٥م، بحيث تبدل النفوذ البيزنطي هناك بالنفوذ الفارسي، ولكن حتي حين.

كذلك أشار الزبير بن بكار إلي أن عثمان استخدم ورقة الاقتصاد في الضغط علي المكيين في البداية لقبوله ملكاً عليهم، حيث هددهم بقطع تجارتهم مع الشام الخاضعة للبيزنطيين، إذا لم ينزلوا علي رغبة الإمبراطور البيزنطي بتنصيبه ملكاً عليهم. وكانت هذه رؤية ذكية من عثمان لإدراكه لأهمية التجارة بالنسبة لقريش بوجه عام، وتجارتهم مع بلاد الشام بوجه خاص. وكانت قريش تري أن السيادة في الاتجار، ومن لم يمارس هذه الصناعة فليس بشئ، لذلك كان جُل المكيين رجالاً أو نساءً يساهمون في القوافل التجارية المنطلقة من مكة شمالاً وجنوباً كل بمقدار سهمه أو بمقدار ما وضع فيها من مال.

ومن الأحداث التاريخية السياسية الأخري الهامة، والتي تفرد بها الزبير عن غيره ببعض التفاصيل الخاصة بها، إعلان عبد الله بن الزبير(ت.٧٣هـ/٦٩٢م) نفسه خليفة للمسلمين في مكة، ورفضه مبايعة يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ/٦٨٠-٦٨٣م) بالخلافة، واتخذ لقب أمير المؤمنين. وقد اعترفت بخلافته بعض الولايات الأموية مثل مصر والعراق وخراسان، وساعده علي ذلك سوء أحوال بني أمية، بل قام بتعيين بعض الولاة علي بعض هذه المناطق، فعين أخاه مصعب علي البصرة وتوابعها.

ولم يقف الأمويون صامتين إزاء هذه المحاولة، فأرسلوا جيوشهم لقتاله في مكة، ودارت وقائع كثيرة أثناء حصار الأمويين لابن الزبير وأتباعه في مكة، سواء في عهد يزيد بن معاوية، أو في عهد عبد الملك بن مروان(٦٥-٨٦هـ/٦٨٥-٧٠٥م). وقد سجل الزبير بعض هذه الأحداث، خاصة تفاصيل بعض المعارك بين الجيوش الأموية وجيش ابن الزبير، وكذلك بعض الاجراءات الادارية والعسكرية، التي كان يقوم بها ابن الزبير في مواجهة جيوش الأمويين. ورغم هذه التفصيلات الثرية، إلا أننا نأخذها أحياناً ببعض الحرص، ربما لتعاطف الزبير مع عبد الله بن الزبير، بحكم صلة القرابة بينهما.

وقد رصد الزبير الأحداث من بدايتها، فأشار بداية إلي رفض ابن الزبير ومعه الحسين بن علي البيعة ليزيد. وكان الحسين وابن الزبير قد رفضا البيعة ليزيد؛ لأنهما رأيا أنهما الأحق بالخلافة منه، فاتجه الحسين إلي العراق حيث يوجد أنصاره، واتجه ابن الزبير لمكة، ورفعا راية العصيان ضد يزيد، ثم أعلن ابن الزبير نفسه خليفة للمسلمين. كما أشار إلي ممارسة ابن الزبير لسلطاته كخليفة علي مكة، وما حولها، مثل قيامه بتعيين ابنه عباد قاضياً علي مكة، وكذلك تعيينه لبعض الولاة في المناطق التي اعترفت بخلافته، فعين جابر بن الأسود والياً علي المدينة، وعامر بن مسعود علي الكوفة، والحارث بن عبد الله علي البصرة.

ومن خلال ما كتبه الزبير نستشف ملامح الذكاء السياسي لابن الزبير، حيث أشار إلي أن القائد الأموي المهلب بن أبي صفرة (ت.٨٢هـ/٧٠١م) قدم علي ابن الزبير في مكة، وأنهما اجتمعا طويلاً يتباحثان. ورغم أن الزبير لم يشر إلي نتيجة هذا الاجتماع، أو تفاصيله الدقيقة، إلا أن من الواضح أنها كانت خطوة ذكية من جانب ابن الزبير ؛ لأن المهلب كان من وجوه أهل العراق، ومن القادة البارزين في الدولة الأموية، ولا شك أن استقطابه للمعسكر الزبيري، كان سيدعم جبهة ابن الزبير كثيراً، لكن يبدو أن هذا لم يتحقق علي أرض الواقع، فلم تشر المصادر التاريخية لأي نوع من التعاون قد تم بين الطرفين.

ومن خلال ما ذكره الزبير نجد وصفاً لبعض التشكيلات القتالية والتكتيكات العسكرية الدفاعية، التي أتبعها بن الزبير في حمايته هو وأتباعه بمكة من هجمات الجيوش الأموية، ويبدو منها أيضاً المناطق التي كانت الجيوش الأموية تهاجم منها مكة، فقد وضع ابن الزبير ثلاث مجموعات قتالية في ثلاث مناطق من مكة لصدي أي هجوم منها، فجعل علي منطقة (مِني) محمد بن المنذر بن الزبير، وجعل ابنه هاشم علي منطقة (الردم)، وابنه حمزة علي منطقة (المسعي). ويبدو من رواية الزبير أن عبد الله بن الزبير، كان يولي ثقته في المقام الأول لأهل بيته.

كما قدم لنا الزبير تفاصيل معركة صغيرة وقعت بين ابن الزبير والأمويين، حيث ذكر أن الأمويين نجحوا في التقدم حتي منطقة بطحاء مكة، فتصدي لهم ابن الزبير، وحدث كر وفر بين الطرفين، حتي نجح في ردهم مرة أخري عن مكة. ويبدو من رواية الزبير أنه لم يكن هناك قتال نظامي بالمعني الحديث، لكنها كانت معارك عشوائية يغلب عليها الحماسة أكثر من التنظيم.

كما أشار إلي المرحلة الجديدة في الصراع بين عبد الله بن الزبير والأمويين، والتي ظهر فيها القائد الأموي الحجاج بن يوسف الثقفي (٧٠-٩٥هـ/٦٨٩-٧١٤م)، الذي استعان به الخليفة عبد الملك بن مروان، وأطلق يده في أمور

دولته، وخوله القضاء علي ابن الزبير عام ٧٢هـ/. وقد روي الزبير في موضع آخر تفاصيل هجوم قام به الجيش الأموي بقيادة الحجاج، حيث ذكر أن الحجاج أرسل فرقة من الفرسان، هاجمت فرقة من جيش ابن الزبير كانت ترابط في البطحاء، وهزمتها وتتبعتها حتي حاصرتها، وحين علم ابن الزبير بذلك ؛ أرسل علي الفور فرقة بقيادة محمد بن المنذر، تمكنت من فك هذا الحصار، وانكسرت فرقة الحجاج، وعادت إلي معسكر الأمويين خارج مكة.

وينفرد الزبير عن المصادر التاريخية الأخري ؛ فيما ذكره عن نجاح عبد الله بن الزبير في الانتصار علي الفرق التي كان يرسلها الحجاج، فالمصادر التاريخية الأخري تذكر أن بعوث الحجاج كانت تنجح دائماً في هزيمة بعوث ابن الزبير. وقد يبدو هنا وجود نوع من التعاطف من جانب الزبير مع عبد الله بحك صلة القرابة بينهما.

كما أشار الزبير إلي الحصار الشديد الذي ضربه الحجاج حول مكة، وأوامره الصارمة لجيوشه، بمنع هروب بن الزبير أثناء هذا الحصار. وكان الحجاج قد سأم المناوشات الطويلة بين جيشه وجيش ابن الزبير، فطلب من عبد الملك بن مروان حصار ابن الزبير في مكة، بعد أن أقنعه بضعف جيشه وانصراف عدد كبير من أتباعه عنه. كذلك أشار إلي الحرب النفسية التي كانت ينتهجها الجيش الأموي ضد بن الزبير أثناء قتاله معه، حيث كانوا ينادونه يا ابن ذات النطاقين، يقصدون بذلك أمه أسماء بنت أبي بكر المعروفة بذات النطاقين، وكانوا يعتقدون بذلك أنهم يسيئون إليه ويؤثرون بذلك علي معنوياته.

والإشارة التاريخية السياسية الأخيرة التي نرصدها في كتاب الزبير، ترجع للعصر العباسي الأول،وتحديداً عهد الخليفة أبي جعفر المنصور(١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٥م)، إذ يذكر أن المنصور بعد أن قام بالحج ؛ قام بتفريق العطايا علي أشراف مكة والمدينة، وكافة سكانهما، بدرجة لم يفعلها أحد قبله، حتي

أنه أعطي النساء أيضاً. ولم يقدم الزبير تفسيراً لهذا الكرم البالغ الذي جعل أهل الحجاز يطلقون علي هذا العام " عام الحصب "؛ لما أغدقه عليهم المنصور من الأموال، برغم ما عرف عن المنصور من ميله للاقتصاد والتقتير، الذي بلغ به حد تلقيبه " أبا الدوانيق ".

وواقع الأمر ؛ أن هذه الخطوة من جانب المنصور، لم تكن اعتباطاً أو تغيراً في طبيعته، بقدر ما كانت خطوة سياسية، أراد بها استرضاء سكان المدينتين المقدستين، بعد مقتل محمد النفس الزكية(ت.١٤٥هـ/٧٦٢م). وكان الأخير قد خرج علي طاعة المنصور، بعد أن استأثر العباسيون بالخلافة دون العلويين، بعد أن أطاحوا سوياً بالخلافة الأموية، وتعاطف معه كثير من أهل مكة والمدينة وأشرافهما من القرشيين، مثل الإمام مالك، فلما تخلص المنصور من النفس الذكية ؛ أراد أن يكتسب رضاهم من جديد.

التاريخ الاقتصادي لمكة من خلال كتاب جمهرة نسب قريش:

يحفل كتاب الزبير ببعض الإشارات الخاصة بالتاريخ الاقتصادي لمكة، تتعلق بشؤون التجارة، خاصة مع بلاد الشام، والرعي وتربية الماشية، وبعض أمور الزراعة، وبعض الحرف التي وجدت بمكة، بجانب إشارة لأسعار العقارات فيها.

ومن أهم هذه الإشارات، إشارة لم ترد في الأجزاء التي وصلتنا من كتابه، ولكن وصلتنا في مصدر آخر نقل عنه، وذكر ذلك صراحة. وفي هذه الإشارة رصد الزبير بداية النشاط التجاري لمكة مع الشام، حيث ذكر أن المكيين في البداية لم يكونوا يهتمون بالخروج للتجارة، بل يكتفون بما يرد علي بلادهم من متاجر. وكانت البداية علي يد أحد أشراف قريش ويدعي هاشم بن عبد مناف، الذي سافر إلي الشام ومكث بها بعض الوقت، وأثناء ذلك كان يحرص علي تقديم الطعام للفقراء

هناك، حتي اشتهر أمره وبلغ مسامع الإمبراطور البيزنطي، فأرسل في طلبه وأعجب به، فانتهز هاشم الفرصة، وطلب من الإمبراطور أن يسمح لقريش بأن تقدم علي بلاد الشام بقوافلها، فوافق الإمبراطور علي ذلك، وكان ذلك بداية للنشاط الاقتصادي لمكة مع بلاد الشام.

وكان بنو عبد مناف أصحاب السبق في الحصول علي تصاريح للمكيين بالتجارة مع جيرانهم، فكما قام هاشم بن عبد مناف بالحصول علي تصريح من الإمبراطور البيزنطي بالتجارة مع بلاد الشام، حصل أخوه عبد شمس علي تصريح من ملك الحبشة بالتجارة هناك، وحصل عبد المطلب بن عبد مناف علي تصريح من ملوك اليمن، وحصل نوفل بن عبد مناف علي تصريح من ملك العراق، فأصبحت قريش بذلك تقوم برحلتين، الأولي في الشتاء إلي اليمن والحبشة والعراق، والثانية في الصيف إلي الشام.

ومن نافلة القول، إن النشاط التجاري كان من الأهم الأنشطة الاقتصادية التي تميز بها المجتمع المكي، وقد عدها القوم " من أشرف الأسباب وأعلاها قدراً ". وكانت تجارة قريش مع الشام، بجانب التجارة مع اليمن والحبشة والعراق، تعد عصب الحياة التجارية للمكيين، وكان القرشيون في رحلتهم إلي الشام، يصلون إلي بُصري حاضرة العربية الشمالية، حيث كانت السلطات البيزنطية تسمح لهم بالمرور في الأراضي البيزنطية، ومنها إلي الشام لقاء مكوس معينة يدفعونها، كما كانت توجد بمكة بيوت تجارية بيزنطية تزاول الشؤون التجارية الخاصة بالإمبراطورية، حتي عرفت مكة بأنها " بندقية العرب ".

كما وردت لدي الزبير إشارات متعددة عن واحد من أهم أنشطة مكة الاقتصادية ؛ وهو رعي وتربية الماشية، فقد أشار الزبير إلي اهتمام المكيين بتربية الماشية خاصة الإبل، حتي إن بعضهم كان يخصص جزءاً من داره للعناية بها، بل ويعالجها بيده إن أصابها جرح. ونحن نعلم أن أثرياء مكة – رجالاً ونساءاً – كانوا

يمتلكون قطعان من الإبل والغنم. وذكر أن هذه الإبل تستخدم إما للطعام أو الحلب، أو لأعمال النقل. فقد كانت وسيلة المواصلات في تلك الفترة التاريخية سواء لحمل البشر في التنقلات، أو لحمل السلع، مما كان يرفع من ثمنها. كما ذكر اهتمام المكيين بتربية الغنم، حتي أنه كان لدي أحد المكيين ما يفوق الألف رأس منها. كما كان الأعراب يقومون بتربية الغنم في بوادي مكة من أجل بيعها. ومن المعروف أن أهل مكة قد اهتموا بتربية الماشية بأنواعها، خاصة الإبل والغنم والماعز والبقر، نظراً لطبيعة مكة كمدينة تجارية، وقوافلها التي كانت تنطلق شرقاً وغرباً، بجانب سد حاجتهم من اللحوم والألبان. كذلك لسد حاجة الحجاج من الهدي في موسم الحج. كما كانت تخصص أحواض عامة لكي تشرب الإبل منها.

كما ذكر الزبير إنه كانت هناك بمكة سوق خاصة لبيع الإبل، تسمي سوق الظهر، وكانت الإبل يختلف ثمنها حسب نوعها، ونحن نعلم أن سعر الناقة في بعض الأحيان كان يصل إلي مائتي دينار. كما ذكر الزبير أن أفضل أنواع الإبل هي النوق الخراسانية. ومن المعروف أنه كانت توجد بمكة أسواق متعددة لبيع الماشية، ومن هذه الأسواق سوق الغنم، ويقع في شعب ابن عامر، وسوق البقر في جبل خليفة، وسوق الابل بالقرب من جبل مصقلة، وكذلك تعددت المجازر الخاصة بذبح هذه الماشية، فكانت هناك مجزرتان ؛ الأولي شمالي مكة، والأخري عند شِعب سوق الليل.

وقد أشار الزبير إلي أن من كان يقوم بالرعي عادة والاهتمام بشئون الماشية هم العبيد. ويبدو أن العمل بالرعي في مكة كان مثل الزراعة، يعتمد علي العبيد من الزنوج بشكل رئيسي، فقد ذكر ياقوت الحموي أنه كانت توجد أمة حبشية ترعي مائة شاة لأحد أثرياء الطائف. وكان للرقيق تجارة رائجة بمكة، وتبع ذلك وجود بعض الأسواق التي اختصت به، وكان هناك سوق رئيسي للرقيق في البداية

بجوار الحرم داخل سوق الليل، ثم انتقل هذا السوق خارج مكة بعد أن أمر بذلك الخليفة عمر بن الخطاب، وأصبح بجوار جبل أبي قبيس عند فاضح.

وفي المجال الزراعي؛ أشار الزبير إلي اهتمام المكيين بزراعة النخيل، حتي إن أحدهم كانت لديه عينان من الماء، تسقيان عشرين ألف نخلة. ونحن نعلم أن الزراعة في مكة كانت تعتمد بالدرجة الأولي علي المياه الجوفية، التي قد تكون قرب سطح الأرض، أو تظهر علي السطح، نظراً لعدم وجود أنهار جارية تكفي للزراعة، بجانب أن الأمطار كانت مياهها مؤقتة ولا تدوم طويلاً، وكثيراً ما تتحول إلي سيول قوية جارفة تكتسح ما يقف أمامها، وبذلك لا تفيد في الزراعة بشكل دائم. ومن أجل استغلال المياه الجوفية كان يتم حفر الآبار والعيون، ثم مد القنوات منها للمزارع والبساتين ومثال ذلك العيون التي حفرها الخليفة معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ/ ٦٦١- ٦٧٩م) في مكة والتي أجري منها قنوات لري حوائطه وبساتينه هناك. وفيما يخص كثافة النخيل التي أشار إليها الزبير، فمن المعروف أنه انتشرت بأطراف مكة العديد من الحوائط (البساتين المسَورة) والمزارع، وكانت هذه الحوائط مزروعة بالنخيل ومختلف أنواع الزروع. وهذا النوع من الملكيات الكبيرة ارتبط بارتفاع مستوي المعيشة وتحسن الدخل، حيث زادت رغبة الناس في تملك الأراضي الزراعية، فكان لعدد من الصحابة والتابعين مزارع في المناطق المحيطة بمكة.

أما عن النشاط الحرفي، فلم نجد لدي الزبير إلا إشارة واحدة عن مهنة الحدادة، حين أشار إلي عمل أحدهم بهذه المهنة، والحدادون هم القائمون علي عملية تشكيل الحديد، وتحويله لمنتجات معدنية كالأواني المنزلية، والأسلحة المتنوعة كالسيوف والدروع والقسي وغيرها، وقد كان بمكة بعضاً منهم، وكان هؤلاء يجتمعون في دار خاصة بهم داخل زقاق حمل اسمهم.

وآخر الإشارات الاقتصادية التي نقف عندها عند الزبير، تتعلق بأسعار العقارات في مكة، حيث ذكر أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان أشتري دار الندوة من أحد أثرياء مكة، ويدعي حكيم بن حزام بمئة ألف درهم. وقد يبدو هنا سعر الدار مبالغاً فيه، ولكن هذه الرواية ذكرتها مصادر أخري، كما نعلم أن الحجاج بن يوسف الثقفي اشتري داراً بمكة بمئة ألف درهم أيضاً.

ونحن نعلم أن تجارة العقار في مكة – سواء بالكراء أو البيع والشراء – تأثرت بعاملين أساسيين، الأول: موقف الفقهاء من عملية بيع وكراء دور مكة، والعامل الثاني: أهمية مكة ومكانتها. وفيما يخص العامل الأول، فقد اختلف الفقهاء في حكم كراء وبيع بيوت مكة ؛ فعلي حين أجاز بعضهم هذا الأمر، مال البعض الآخر إلي كراهية ذلك. وقد أثر ذلك علي عمليات كراء البيوت، خاصة أن بعض الخلفاء الأمويين قد تبني الرأي الذي يري كراهية ذلك، فقد بعث عمر بن عبد العزيز لواليه علي مكة عبد العزيز بن عبد الله في عام ١٠٠هـ/ ٧١٨م ينهاه عن كراء البيوت بمكة، ولكن هذا التأثير كان محدوداً، فقد تحايل الناس علي هذا الأمر وقاموا بكراء البيوت سراً.

كما أثرت مكانة مكة الدينية وأهميتها علي أسعار العقار فيها، حيث كان العقار فيها باهظ الثمن، خاصة القريب من المسجد الحرام، لذلك فأغلب حالات بيع وشراء العقار في مكة كانت تخص الخلفاء الأمويين، أو الولاة، أو بعض الأثرياء. وكان معاوية بن أبي سفيان من أكثر الخلفاء الأمويين شراء للعقار في مكة؛ كما قام بعض الولاة الأمويين أيضاً بشراء دور في مكة، مثل خالد بن عبد الله القسري (ت.١٢٦هـ/٧٤٣م)، الذي كان والياً علي مكة في عهد الوليد بن عبد الملك، واشتري فيها بعض البيوت الصغيرة. كما قام بعض أثرياء مكة مثل عبد الله بن الزبير بشراء بعض الدور هناك.

التاريخ الاجتماعي لمكة من خلال كتاب جمهرة نسب قريش:

لم يخل كتاب الزبير بن بكار من بعض الإشارات القليلة، عن مظاهر الحياة الاجتماعية في مكة، مثل: عادات الطعام والشراب، وبعض العادات اليومية، بجانب بعض اللمحات عن وضع المرأة في المجتمع المكي.

ومن عادات الطعام والشراب التي أشار إليها الزبير، نوع من الشراب الحلو، كان يشربه أهل مكة، يصنع من اللبن والسكر الأبيض الصلب المعروف بالطبرزد. واللبن كان مشروباً أساسياً لدي سكان مكة، وكان يسمي حسب توقيت شربه، فلو كان في الصباح كان يسمي (الصبوح)، وفي الظهيرة يسمي (القيل)، ووقت العشاء يسمي (الغبوق).

وأشار أيضاً إلي بعض المأكولات التي يتناولها أهل مكة، مثل الثريد، الذي كان يصنع من مرق اللحم والخبز والسمن، وكان هذا عادة طعام الأسر الغنية، بجانب السويق، وهو نوع من الخبز المحمص يصنع من دقيق الحنطة، وكذلك خبز الشعير، وكان هذا بجانب التمر عادة طعام الأسر الفقيرة. كما أشار إلي تناولهم للحوم المتنوعة، من الإبل والغنم والدجاج، ونحن نعلم أنه كان هناك بمكة سوق خاص لبيع الدجاج، وغيره من الطيور. كذلك أشار الزبير إلي نوع من الحلوي يصنعه المكيون، يسمي الخبيص. وهو نوع شهير من الحلوي كان يصنعه العرب.

وكان من عاداتهم للتغلب علي الحر الصعود لأسطح البيوت وشرب الماء البارد، كذلك كانوا يستخدمون الحمير عادة في التنقل داخل مكة باستئجار الحمارين، ويقصد بالحمارين، الذين يستخدمون الحمير في النقل والتحميل، وكان لهم مكان بمكة، يتجمعون فيه عند ردم بني جمح. ومن العادات الغريبة التي ذكرها الزبير عن أهل مكة ؛ أنهم اعتادوا إذا انقطع نعل أحدهم أثناء مشيه ألقي بالنعل الثاني ومشي حافيا. كما سجل الزبير حرص أهل مكة علي التعطر والتطيب خاصة حين خروجهم، ونحن نعلم أن من كان يقوم ببيع العطور والطيب هم العطارين بجانب بعض الأعشاب والعقاقير الطبية. وقد كان لهم سوق خاص بهم بمكة،

وزقاق حمل اسمهم بجوار دار السيدة خديجة بنت خويلد. بجانب أن بعضهم كان يتجول في فناء المسجد الحرام لبيع الطيب.

أما عن وسائل التسلية فقد ذكر أن المكيين كانوا يهتمون بسباق الخيل، ويجهزون الخيل للقيام بهذا الأمر، وكان هناك مكان مخصص لذلك يسمي الهدة، كما كان هناك مضمرين للخيل يقومون بإعداد الخيل للسابق والعناية بها. ولم يكن التنافس في السباق يقتصر علي العامة فقط، بل امتد للخلفاء أنفسهم، فقد كان بعضهم يهتم بالتسابق بخيله في هذه السباقات.

أما عن المرأة ؛ فقد أشار الزبير إلي المكانة التي احتلتها في مكة، ومن ذلك أنها كان لها الحق في رفض من يتقدمون للزواج منها، حتي لو كانوا من أشراف قريش، فقد ذكر أن أبا بكر بن حمزة تقدم لخطبة امرأة من قريش، لكنها اعتذرت بأنها لا ترفضه، لكنها لا تريد الزواج، لكنها قبلت بعد ذلك، حين علمت أن أحد الشعراء أحب أن يجامله فيهجوها بالشعر لرفضها إياه لكنه منعه. ويبدو مما ذكره الزبير هنا أنه كان للمرأة في المجتمع المكي الحق في اختيار زوجها دون إجبارها علي ذلك، لكن هذا ربما كان ينطبق فقط علي الثيب، أما البكر فلم تكن عادة تستأذن من وليها، بل كان يزوجها مباشرة دون أخذ رأيها، وقد ذكر الزبير نفسه أن عبد الله بن الزبير زوج ابنته لابن أخيه دون أن يأخذ رأيها.

كما ذكر في موضع آخر أن رجلين تقدما لخطبة امرأة من قريش، فأخذت المرأة تسأل عن كل واحد منهما، ولم تكتف بذلك بل خرجت بنفسها لتراهما قبل أن تقبل أحدهما، فرأتهما من بعيد وهما يتحدثان عنها فأعجبها أحدهم فقررت قبوله زوجاً لها. وهذا يشير أيضاً لخروج المرأة عن الشكل التقليدي في قبول الزوج، من القبول التقليدي إلي القبول القائم علي التحري والدقة الشخصية دون الاعتماد علي آراء الآخرين.

كما ذكر أن التنافس أحياناً بين رجال قريش علي الفوز بالزواج من بعض نساء مكة، كان يدفعهم لتقديم أموالاً طائلة كصداق للعروس، فقد قدم أحدهم صداقاً قدره ثلاثمائة ألف درهم لعروسه، كي تقبل به زوجاً لها. وهذا يدل علي القيمة التي احتلتها المرأة في المجتمع المكي، وهذا الرقم لا يبدو مبالغاً فيه، فقد بلغت بعض المهور في المجتمع المكي خمسمائة ألف درهم. وهذا التنافس في المهور، ربما يشير إلي دور المال في قبول الزواج، فقد كان أهل المرأة، والمرأة نفسها غالباً ما يفضلون الرجل الثري، وكانت المرأة عادة حين تفاضل بين رجل وآخر، تقبل بمن كان أرغب لها في المهر.

أما عن وفاء الزوجة المكية لزوجها بعد موته، فقد أعطانا الزبير نموذجاً سلبياً لذلك، حيث ذكر أن أحدهم – حين حضرته الوفاة – أوصي زوجته بألا تتزوج من بعده، فأقسمت أن لو تزوجت بعده، فكل مملوك لها يكون حراً، وكل مالها في سبيل الله. وبعد موت زوجها تقدم لها آخر، وعوضها ضعف ما أقسمت به، فتزوجته.

ولكن هذا لم يكن يعني أنها حالة عامة بين النساء في تلك الفترة، فلدينا نماذج عديدة لوفاء المرأة المكية لزوجها بعد وفاته، مثل: رفض الرباب بنت امرئ القيس – وكانت زوجة للحسين بن علي – الزواج بعد مقتل زوجها، رغم تقدم الكثيرين لخطبتها.

ولم يتوقف تقدير المجتمع المكي للنساء الحرائر فقط، بل امتد للجواري أيضاً، حيث ذكر الزبير أن المكيون كانوا لا يجدون غضاضة في دفع أموال طائلة، في سبيل نيل جارية أعجبتهم، حتي إن أحدهم دفع أربعين ألف دينار مقابل شراء جارية، وكان اقتناء الجواري مفضل للبعض " لقلة مئونتها، وخفة نفقتها، وحسن خدمتها".

وكان سعر الجارية عادة يتوقف علي جمالها وما تجيد من غناء وأشعار وغيرها، لكن نجد لدي الزبير دوافع أخري تتحكم في سعر الجارية ؛ وهي المعتقدات الخاصة، حيث يذكر أن رجلاً اشتري جارية بمائة ناقة، لأنه رآها تمشي وفي يدها رأس كبش، يسيل دمه علي ذراعها وهي متجهة إلي بعض أهلها، فاعتقد أنها ستلد رجلاً سيصبح له شأن في قومه. وقد سادت هذه المعتقدات بعد أن رأي الناس نبوغ بعض أبناء الجواري وتفوقهم.

وبلغ اهتمام أهل مكة بالجواري حداً جعلهم يغارون عليهم حتي من نظرهم لغيرهم، حيث ذكر الزبير أن أحدهم أعتق جاريتين له لأنه كان يمشي بينهما، فلمحهما ينظران لغيره، بل وبلغ حد الغيرة إلي محاولة التخلص ممن يقتربون من جواريهم، حتي لو كانوا من أقرب أصحابهم، حيث ذكر أن عمرو بن العاص أثناء رحلته لزيارة النجاشي في الحبشة، كان يصطحب معه صديقاً له، فقام الأخير بمحاولة التقرب لإحدي جواري عمرو، فاستجابت له ووصل الخبر لعمرو، فعزم علي الانتقام منه. وكان هذا الصديق قد أخبره أنه تقرب لزوجة النجاشي وأن الأخيرة استجابت له، فأسر عمرو بذلك للنجاشي، ولما تأكد من صحة الخبر انتقم النجاشي من هذا الصاحب.

الخاتمـــــة:

تعد كتب الأنساب واحدة من أهم مصادر تاريخ مكة، لما تحويه من مادة غير تقليدية، تتميز بها عن غيرها من المصادر التاريخية الأخري، لذلك فهي ما زالت بحاجة إلي مزيد من الاهتمام من الباحثين في التاريخ الإسلامي بوجه عام، وتاريخ مكة بوجه خاص.

ويعد كتاب الزبيري، جمهرة نسب قريش وأخبارها، نموذجاً مهماً لأهمية كتب الأنساب كمصدر لتاريخ مكة، حيث احتوي علي مادة تاريخية متميزة عن التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي لمكة، في مختلف عصورها، وانفرد بتفاصيل قلما نجدها في مصدر غيره، كما أمدنا بتفاصيل أكملت بعض المشاهد التاريخية، التي كان يعوزنا بعض التفاصيل عنها.

وفيما يخص التاريخ السياسي، قدم لنا الزبيري تفاصيل هامة عن المحاولة الأولي لتنصيب ملك علي مكة برعاية الإمبراطورية البيزنطية، وموقف أهل مكة منها، ودلالة هذا الحدث علي أهمية مكة الإستراتيجية وطبيعة أهلها. هذا بجانب التفاصيل الدقيقة لفترة هامة من تاريخ مكة، وهي التي شهدت استقلال عبد الله بن الزبير عن الخلافة الأموية، وتحصنه بمكة، حيث أمدنا بتفاصيل بعض المعارك، وطبيعة الأمور في مكة خلال تلك الفترة.

وفيما يخص التاريخ الاقتصادي، قدم لنا الزبيري إشارات متعددة عن أوجه النشاط الاقتصادي في مكة، خاصة فيما يتعلق بالتجارة، وهي الحرفة الرئيسية والأكثر أهمية في مكة. ورغم أن إشاراته عن الحياة الاجتماعية في مكة قليلة مقارنة بالإشارات السياسية والاقتصادية، إلا أنها لا تقل أهمية عنها، وقدمت لنا صورة واضحة عن مظاهر الحياة الاجتماعية في مكة.

المصـــادر والمراجـــع

أولاً : المصـادر العربيـــة :

* ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبو الكرم، ت.٦٣٠هـ/١٢٣٢م)

– أسد الغابة في معرفة الصحابة، الهند، جمعية المعارف، ١٩١٦.

– الكامل في التاريخ، مراجعة : محمد يوسف الدقاق، بيروت ١٩٨٧.

* الأزرقي (محمد بن عبد الله، ت.٢٥٠هـ/٨٦٤م).

– أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق : رشدي صالح ملحس، ط٣، مكة المكرمة، مطابع دار الثقافة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

* الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين، ت.٣٥٦هـ/٩٦٦م)

– مقاتل الطالبيين، تحقيق. السيد أحمد صقر، القاهرة ١٩٤٩.

– الأغاني، تحقيق: علي مهنا، دار الفكر للطباعة، القاهرة ١٩٨٦.

* البلاذري (أحمد بن يحيي بن جابر، ت.٢٧٩هـ/٨٩٢م).

– أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد عبد الله، القاهرة ١٩٥٩.

– فتوح البلدان، تحقيق : عبد الله أنيس الطباع، بيروت، مؤسسة المعارف، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

* الثعالبي (أحمد بن يحيي، ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)

– اللطائف والظرائف، بيروت ١٩٩٢.

* الجاحظ (عمرو بن بحر، ت.٢٥٥هـ/٨٦٨م)

–المحاسن والأضداد، تحقيق: محمد سويد، دار احياء العلوم، بيروت ١٩٩١م.

* ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي، ت.٥٩٧هـ/١٢٠٠م)

– المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر، مصطفي عبد القادر، بيروت ١٩٩٢.

* ابن حبيب (أبو جعفر محمد بن حبيب، ت.٢٤٥هـ/٨٥٩م)

– المحبر، تحقيق: الزه شتيتر، بيروت، دار الآفاق الجديدة.

* ابن أبي الحديد (عز الدين عبد الحميد بن هبية الله، ت.٦٥٦هـ/١٢٥٨م)

– شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٦.

* الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن عبدالمجيد، ت.٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)

- تاريخ مدينة السلام، تحقيق: بشار عواد، بيروت ٢٠٠١.
* ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد، ت.٨٠٨هـ/١٤٠٦م)
- العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، ١٩٥٧.
* ابن خلكان (أحمد بن محمد، ت.٦٨١هـ/١٢٨٢م)
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بيروت ١٩٧٧.
* ابن دريد (محمد بن الحسن، ت.٣٢١هـ/٩٣٣م)
- جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧.
* الزبيري (مصعب بن عبد الله، ت.٢٣٦هـ/٨٥٠م).
- نسب قريش، تحقيق : ليفي بروفينسال، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢.
* الزبير (الزبير بن بكار القرشي، ت.٢٥٦هـ/٨٦٩م).
- جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق : عباس هاني الجراخ، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١٠.
* ابن رستة (أبو علي أحمد بن عمر، ت.٢٩٠هـ/٩٠٢م)
- الأعلاق النفيسة، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٩٣.
* ابن سعد (محمد، ت.٢٣٠هـ/٨٤٤م)
- كتاب الطبقات الكبري، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة ٢٠٠١.
* الصباغ (محمد بن أحمد بن سالم بن محمد المالكي، ت.١٣٢١هـ).
- تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكة المكرمة : مكتبة الأسدي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
* ابن طباطبا (محمد بن علي، ت.٧٠١هـ/١٣٠٩م)
- الفخري في الآداب السلطانية، تحقيق: علي الجارم، محمد علي إبراهيم، القاهرة ١٩٢٣.
* الطبري (محمد بن جعفر بن جرير، ت.٣١٠هـ/٩٢٢م)
- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٩م.
* ابن العماد (شهاب الدين، ت١٠٨٩هـ)
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر ومحمود الأرناؤوط، بيروت، دار بن كثير، ١٩٨٦.

* الفاسي (محمد بن أحمد، ت.٨٣٢هـ١٤٢٨م).
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق : عمر عبد السلام التدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ.
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، د.ت.
* الفاكهي (محمد بن اسحق بن العباس، ت.٢٧٩هـ/٨٩٢م).
- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط٢، بيروت، دار خضر للطباعة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
* ابن فهد المكي (محمد بن محمد، ت.٨٨٥هـ/١٤٨٠م).
- اتحاف الوري بأخبار أم القري، تحقيق : فهيم محمد شلتوت، ط٣، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
* ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت.٢٧٦م/٨٨٩م)
- المعارف، تحقيق: محمد اسماعيل الصاوي، القاهرة، ١٩٢٤،
* القلقشندي (أبو العباس أحمد، ت.٨٢١هـ/١٤١٨م).
- صبح الاعشي في صناعة الانشا، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م.
* ابن كثير (عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر، ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م).
- البداية والنهاية، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت، هجر للطباعة والنشر، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
* المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين، ت.٣٤٦هـ/٩٥٧م)
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٥.
* المقدسي (المطهر بن طاهر، ت٥٠٧هـ)
- البدء والتاريخ، بغداد، مكتبة الأسدي، ١٩٦٢.
* ابن منظور (محمد بن مكرم، ت.٧١١هـ)/١٣١١م
- لسان العرب، بيروت، دار صادر، د.ت.
* ابن هشام (عبد الملك، ت.٢١٣هـ/٨٣٣م)
- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفي السقا وآخرون، القاهرة ١٩٣٦.
* الهمداني (الحسن بن أحمد، ت.٣٣٤هـ/٩٤٥م)
- صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، بغداد ١٩٨٩.

* ياقوت الحموي (ياقوت بن عبد الله، ت.٦٢٦هـ/١٢٢٨م).
- معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- المشترك وضعا والمفترق صقعا، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٢.

ثانيا : المراجع العربية :

(أ) الكتب :

* ابراهيم العدوي، تاريخ العالم الإسلامي، ج١، القاهرة، ١٩٨٨.
* أحمد عصمان العمري، الصنائع والمهن في نجد والحجاز في صدر الإسلام والعصر الأموي، بيروت، الدار العربية للموسوعات ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
* أكرم ضياء العمري، موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، دار طيبة، الرياض ١٩٨٥.
* الجميح، ابراهيم بن عبد العزيز، " العطور في مكة والمدينة في العصر الأموي "، في : الهلابي، عبدالعزيز وآخرون (محررين)، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الرابع : الجزيرة العربية في العصر الأموي الرياض ، جامعة الملك سعود ، (١٤٢٤هـ)، ص ص٢١٧-٢٤٨.
* جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بغداد، جامعة بغداد، ١٩٩٣.
* حسين مؤنس، دراسات في السيرة النبوية، القاهرة، ١٩٨٨.
* رأفت عبد الحميد، الصراع الدولي حول شبه الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادي، ضمن كتاب بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، القاهرة، دار عين، ١٩٩٧، ص١٩٥.
* صالح أحمد العلي، الحجاز في صدر الإسلام، دراسات في أحواله العمرانية والإدارية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٠.
* عبد الرحمن الطيب الأنصاري، " الأحوال العامة للجزيرة العربية عند البعثة النبوية "، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثالث : الجزيرة العربية في عصر الرسول ، تحرير: عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرين، الرياض ، جامعة الملك سعود ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص١٢.
* عبد العزيز الدوري، " كتب الأنساب وتاريخ الجزيرة العربية "، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول : مصادر تاريخ الجزيرة العربية، تحرير : عبد الرحمن الانصاري وآخرين، الرياض، جامعة الملك سعود ، ١٣٧٩هـ/١٩٧٩م.

* عبد الله بن محمد السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣.

* عبد الله بن محمد السيف، النشاط الزراعي في الجزيرة العربية في العصر العباسي حتي نهاية القرن الرابع الهجري، كتاب الدارة، العدد ١٢، الرياض ١٤٢٧هـ.

* عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٠.

* علي حسن الخربوطلي، عبد الله بن الزبير، سلسلة أعلام العرب، القاهرة، ١٩٦٥.

* غويدي(أ)، تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام، ترجمة إبراهيم السامرائي، بيروت، ١٩٨٦.

* كلود كاهن، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ت: بدر الدين قاسم، بيروت ١٩٧٢.

* محمد ضيف الله بطاينة، الحياة الاجتماعية في صدر الإسلام، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة ١٤٠٩هـ.

* محمود زيادة، الحجاج بن يوسف الثقفي، القاهرة، ١٩٩٥.

* ناصر بن سعد الرشيد، " تعامل العرب التجاري وكيفيته في العصر الجاهلي "، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني : الجزيرة العربية قبل الإسلام، تحرير: عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرين، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

* هدي بنت فهد الزويد، التطور التاريخي للأسرة في الحجاز في القرنين الأول والثاني الهجريين، دارة الملك عبد العزيز، الرياض ١٤٢٨.

* الهلابي، عبد العزيز بن صالح، " الأسواق في مكة حتي نهاية العهد الأموي "، في: الهلابي، عبدالعزيز وآخرون (محررين)، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الرابع: الجزيرة العربية في العصر الأموي الرياض، جامعة الملك سعود ، (١٤٢٤هـ).

(ب) **الدوريـــات** :

* الجميح، ابراهيم بن عبد العزيز، " النشاط التجاري والحرفي في مكة في العصر الأموي من خلال كتاب الفاكهي: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه "، الدارة، م٣١، ع٣،(١٤٢٦هـ)، ص ٦١-١٠٢.

ثالثاً : المراجع الأجنبية :

(١) Ibrahim,H ".Aspects of Shi'ah history", Muslim World, 17(1957), p.27

(2) Norwich, J., *Byzantium: The Early Centuries*, Penguin Books (1990).

(3) Sourdel, D., Histoire des arabes, (Paris, 1967).

(4) Traini, R., " LA Corrispondenzatra al-Mansure e Mohammad " an-nafs Azzakiyyah", *AION*, 14 (1964), pp.773-798.